

يَا إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

لَا شَكَّ أَنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ لِلْمُؤْمِنِينَ بُشْرَى عَظِيمَةً وَتَخْفِيفًا مُرِيحًا. فَإِنَّهَا بُشْرَى تُفْرِحُ كُلَّ مَنْ تَدَبَّرَهَا وَهِيَ تُشَجِّعُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى النِّيَّاتِ الصَّالِحَةِ. فَإِنَّا نَتَعَلَّمُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّا لَوْ نَوَيْتَا عَمَلًا صَالِحًا فَتَعَدَّرَ أَدَاؤُهُ لِمَعْدَرَةٍ مَا، لِأَثَابِنَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَكَتَبَ نِيَّتَنَا كَحَسَنَةٍ كَامِلَةٍ عِنْدَهُ. وَإِذَا وَفَّقَنَا الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الصَّالِحَاتِ الَّتِي نَوَيْتَاهَا فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَنَا وَأَفْرَحُ. فَإِذَنْ يَكْتَبُ لَنَا رَبُّنَا تَعَالَى - لِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ - مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا شَاءَ أَضْعَافًا مُضْعَفًا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْفُضَّلَاءَ،

إِنَّ نِيَّاتِنَا مُهِمَّةٌ حَتَّى فِي تَرْكِ الْمَعَاصِي. عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ مَا هُوَ الْعَامِلُ الَّذِي يَجْعَلُنَا نُعْرَضُ عَنِ الشَّهَوَاتِ. يُشِيرُ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) إِلَى أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَمْتَنِعُونَ عَنِ مُتَمَتُّعِي الشَّهَوَاتِ إِمَّا لِعَجْزٍ أَوْ لِيَخَوْفٍ أَوْ لِحَيَاءٍ أَوْ لِمَحَافَظَةٍ عَلَى حِسْمَةٍ وَكَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ثَوَابٌ. فَإِنَّهُ إِثَارٌ حَظٌّ مِنْ حُطُوطِ النَّفْسِ عَلَى حَظٍّ آخَرَ. وَإِنَّمَا فِي ذَلِكَ دَفْعُ الْإِثْمِ. وَإِنَّمَا الْفَضْلُ وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ فِي تَرْكِ الْمَعَاصِي خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ الْقُدْرَةِ وَارْتِفَاعِ الْمَوَانِعِ وَتَيْسُرِ الْأَسْبَابِ.⁵

إِخْوَتِي الْفُضَّلَاءَ،

النَّجَاحُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ أَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَقُولَ آخِرَ حَيَاتِنَا: "كُلُّ مَا عَمِلْتُهُ كَانَ لِرُجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ". جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ وَتَقَبَّلَ أَعْمَالَنَا. آمِينَ



إِنَّا كَمُؤْمِنِينَ فِي جُهْدٍ مُسْتَمِرٍّ لِأَدَاءِ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا وَأَنْ نَجْتَنِبَ مَا نَهَى عَنْهُ لِنَنَالَ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ اللَّهِ. وَأَحْيَانًا قَدْ نُضَيِّعُ أَنْفُسَنَا حَتَّى نُصْبِحَ عِبَادَتَنَا وَأَدَاؤَنَا لِرُؤُوسِنَا الدِّينِيَّةِ الْأُخْرَى مُجَرَّدَ عَادَةٍ. وَهَذَا قَدْ يُوَدِّي إِلَى أَنْ نَعْمَلَ عَنْ أَنْ حَيَاتِنَا امْتِحَانٌ وَأَنَّ غَايَةَ أَعْمَالِنَا هِيَ رِضَا اللَّهِ. فَكَذَلِكَ تَتَحَوَّلُ عِبَادَتُنَا إِلَى أُمُورٍ دُنْيَوِيَّةٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾¹ وَصَفَ الْإِمَامُ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ)

الْعَمَلَ الْمَذْكُورَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ: "أَخْلَصَهُ وَأَصُوبُهُ".

قِيلَ: "يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا أَخْلَصَهُ وَأَصُوبُهُ؟" قَالَ: "إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا

كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ. وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ

يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا.

وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ. وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ."²

وَأَكَّدَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

هَذَا الْمَعْنَى حِينَ قَالَ: "لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ. وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ

وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ. وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا

بِمَا وَافَقَ السُّنَّةَ"³

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامَ،

قَدْ أَكَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْمِيَّةَ النِّيَّةِ حِينَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ

الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ. فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ

يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً. فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا

فَعَمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ

ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا،

كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً. فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلْهَا،

كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً"⁴

⁴ متفق عليه: بخاري، كتاب الرقاق، ٣١، رقم الحديث (٦٤٩١).

مسلم، كتاب الإيمان، ٢٠٤

⁵ انظر أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (٢٠١١)، ج ٥ ص ٣٧٧

¹ سورة الملك: ٢

² ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين (٢٠١٣)، ص ٣٨٣

³ ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم (٢٠٠٨)، ص ٤٠